

الفصل الثاني عشر

الحياة الجنسية

طالما تتحرك الشفاه متسائلة : هل للأطفال حياة جنسية ؟
ومتى يبدأ الأطفال تعلم حقائق من الجنس ؟ أو بمعنى آخر : متى
تبدأ التربية الجنسية ؟

كان الرأى الغالب أن الأطفال لا يعرفون ولا يحسون بميول
جنسية وأن عقولهم قد خلت من الأفكار التى تتعلق بهذه
الأمور ، وقد ظهر أخيراً أن هذا الرأى بعيد كل البعد عن الصحة
والواقع ، فإنه من الثابت أن عقل الطفل دائم التفكير فى مسائل ،
لا يرى فيها الطفل أى ارتباط بالأمور الجنسية . وقد لاحظ المحللون
النفسيون أنه توجد فى أيام الطفولة الأولى أوجه نشاط جسمية
متعددة تشبه إلى حد كبير مظاهر النشاط الجنى فى حياة الكبار ،
وهذه تبدأ مباشرة بعد الولادة^(١) .

ومن المؤكد أن التربية الجنسية تبدأ أولاً فى المنزل ، وهى
تبدأ فى الواقع بعد الميلاد مباشرة ، ويرى البعض أنها تبدأ قبله .
ولا يظهر الدافع الجنى عند الأطفال كشيء جديد ، بل هو أمر

فطرى ، ويتمشى نموه جنبياً إلى جنب مع نموه العام . ولذا فإن فكرة الطفل عن الجنس وعن العلاقات الجنسية تتشكل إلى حد بعيد جداً بما يراه ويسمعه وما يحس به في البيئة التي يعيش فيها ، وخاصة الجو المنزلى .

لهذا كان من الأوفق أن نتهز فرصة حب الطفل للإستطلاع ونلقنه بعض الحقائق الجنسية ، ولا يجب أن تكبت هذه النزعة ، لأن الطفل سيلجأ حتماً إلى شخص يشبع هذه القوة الدافعة (الغريزة) ، وهذا سيلقنه معلومات مشوشة مهوشة خاطئة تعمى بصيرة الطفل عن الحقيقة والواقع .

لا يجب أن نزعج :

غريزتان تصاحبان الكائن البشرى فى نموه وهما : البحث عن الطعام والغريزة الجنسية ، وكلمة غريزة تعنى أنه أمر فطرى ، فللاطفال إذن « حياة جنسية » ، وكلمة « جنسية » تثير شيئاً من القلق والجزع والخوف ، ولذا فمن الأوفق أن نوضح معناها بالنسبة للطفولة ، فهى ميل يرمى إلى البحث عن الإحساسات اللذيذة ، وهذا الميل يلوح لأول وهلة خالياً من عنصر اللذة لكن له صفة جنسية . فهذا الدافع للبحث عن اللذة ، كالدافع للبحث عن الطعام ، سلوك طبيعى فطرى فى الإنسان . هذان الدافعان مرتبطان إلى حد ما عند الطفل ، إذ أن فى إشباع الجوع لذة (جنسية) فإن الطفل كما يقول

فرويد Freud^(١) بعد أن يرضع من ثدي أمه ويستلقي نائماً وقد توردت وجنتاه وارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا التام ، سيجد نفس المنظر يتكرر بعد أن يكبر الطفل ويصل إلى درجة الإشباع الجنسي إثر عملية الجماع .

وقد لوحظ أن عملية الرضاعة (البيولوجية) ، وفيها يضع الرضيع حلبة ثدي الأم في فمه ويمتصها في لذة محبة متتابعة ، لا تقتصر قيمتها على مجرد إشباع الجوع بل إنها إلى جانب ذلك تمنح الطفل لذة عظمى سرعان ما يحاول هو البحث عنها إذا ما أبعده عن ثدي أمه ، فهو يعتمد حينئذ إلى مص أصابعه . وعند ما يضع الطفل أصبعه في فمه ينسى كل ما حوله ويفنى كلية في هذه اللذة الذاتية ، وقد لوحظ ذلك من تورد الوجنتين ومن الشعور العميق باللذة الذي ينعكس على عينيه .

ولعل مما يعضد هذه الأقوال ما أشار إليه فرويد فيما يختص بالشفاه ، فهو يرى أنه مادامنا نعتبر أن اللذة الناجمة عن انطباق واحتكاك والتصاق شفتي شخص بشفتي شخص آخر تعتبر عنصراً في العلاقات الجنسية الصحيحة ، لذلك فإن كل لذة مصدرها الشفاه تعتبر لذة جنسية^(٢) .

Freud, S. : Introductory Lectures. P.- 263. (١)

Quoted by Valentine : The Psychology of Early Childhood. (٢)
ch. 18.

لكن يجب أن نحترس ، فليس إذن مصدر اللذة التي يحصل عليها
الطفل من عملية الرضاعة هو ثدى الأم بل مصدرها شفتي
الطفل نفسه ، بدليل أنه لو استبدلت حلمة الثدي (بالبرازة) لما
وجد الطفل تغيراً كبيراً ، خاصة إذا حمل في وضع يشعر فيه بالراحة
النفسية والجسمية ، وبدليل أنه لو كان الأمر منصّباً على حلمة ثدى
الأم لأصبح الفطام ، على نقيض ما هو معروف ، أمراً شاقاً
بل عسيراً .

على أن آراء سيجموند فرويد فيما يختص بالتقبيل والتصاق
الشفاه لم تقابل بالارتياح لدى الكثيرين من علماء النفس ، فإن وليم
ماكدوجال هاجم رأى فرويد هجوماً لأذعاً وتساءل في كتابه
Psycho - Analysis and Social Psychology هل يعتبر تقبيل
طفل في الثانية أو الثالثة من عمره لأمه عملية جنسية ؟ وهل تقبيل
الطفلة لدميتها له مغزى جنسى ؟ .

الحاجة إلى تربية جنسية :

كتبت أنثا فرويد Anna Freud في جريدة Health Education
Journal^(١) تقول : « يظهر الأطفال في كل الأعمار دلائل توضح
رغبتهم في أن يعرفوا ما يسمى (بحقائق الحياة) ، فيبدأ الأطفال

(١) Quoted in : Chesser, E. & Dawe, Z. : The Practice of Sex Education.

من الحضانة فصاعداً في جمع ومعرفة المعلومات والحقائق عن المسائل الجنسية ، ونجدهم لكي يعرفوا الفروق بين الجنسين ينتهزون كل فرصة ممكنة ليقدروا أجسامهم بأجسام أشقائهم وشقيقاتهم بل وزملائهم وزميلاتهم في اللعب . ويحاولون للطفل كذلك أن يقارن بين جسمه وجسم البالغ الراشد . ويتحايل الأطفال على ذلك بصور شتى فقد يزحفون على الأرض بحجة البحث عن شيء ليتمكنوا من الحصول على نظرة خاطفة من أسفل رداء الأم ، وقد يتحين طفل الفرصة التي تخلع فيها الأم أو الأخت الكبرى ملابسها ليستشرف بعينيه ما تخفيه الملابس ، وكم يلذ للطفل جداً لو أنه رأى والده أو والدته أو أخته وهي تستحم وقد تجردت تماماً من ملابسها . ولا بد هش مطلقاً إذا وجدنا طفلاً في الثانية أو الثالثة وقد ظل متيقظاً في الليل يسترق السمع للأصوات والهمسات الصادرة من مخدع والديه .

هذا هو بالضبط ما أوردته أنا فرويد ، وقد يجد معارضة شديدة ونقداً لاذعاً من هؤلاء الذين يرون في الأطفال مخلوقات بعيدة كل البعد من الحياة الجنسية ، لكن المؤكد أن سلوك الطفل هذا يعتبر المرحلة الأولى للشهوة الجنسية التي ستتركز فيما بعد في الأعضاء التناسلية . وقبل أن يصل الفرد إلى هذه المرحلة الأخيرة نجد أن الشعور باللذة وحب الإستطلاع بلعبان دوراً هاماً في أوجه

نشاط الطفل المرتبطة بالناحية الجنسية والتي لا اتصال لها بعملية الجماع . وهذا ضرورى ولازم جداً لنمو الطفل الوجدانى والعقلى ، ولذا نقرر أن هذا هو السلوك الصحيح لطفل طبيعى بعيد عن الشذوذ .

إذن فللطفل حياة جنسية ، وبالتالى فيجب أن ينال قسطاً من التربية الجنسية . لكن كيف ينال الطفل هذا النوع من التربية ؟ إن الهفوة الطفيفة فى التربية الجنسية قد تؤدى إلى عواقب وخيمة لا تمر بسلام ، فقد يسيء البعض فهم المقصود بالتربية الجنسية ويخوض فى التكلم عن مسائل جنسية لا تهم الطفل ولا يهضمها عقله بل قد يفهمها بطريقة تؤدى إلى نتائج عكسية . وقد يرى البعض فى التربية الجنسية منهاجاً لتعليم الوقاية من الأمراض السرية . وهذا بالطبع بعيد كل البعد عن الواقع المطلوب . ونادى البعض أن يعطى الطفل المعلومات الجنسية فى أوقات محددة وكعلوم قائمة بذاتها ، وأن تعين لها حصص كما يعين للحساب والجغرافيا حصص ، ويحبد البعض أن تقتصر التربية الجنسية على المنزل ، ويعارض البعض الآخر ويرى أن هذا هو عمل المدرسة ، فى حين أن فريقاً ثالثاً يرى أن تعهد إلى منظمات وجمعيات عامة . (١)

نخرج من هذا أن التربية الجنسية لازمة وضرورية ، ولا يهملها

أن يقوم بها المنزل أو أن تكون لها حصص خاصة ، لكن الذى يهمنا جداً هو ألا يرى فيها الطفل غرابة وبعداً عن المألوف ، فلا يحمر وجهه خجلاً عندما يستمع إلى حقائقها ولا يستحي من أن يسأل سؤالاً ، بل يرى فيها شيئاً عادياً طبيعياً . وإن عبثاً كبيراً من هذا يقع على كاهل من يقوم بالتربية الجنسية ، فيجب أن تلقى حقائقها إلقاءً طبيعياً لا وجه للغرابة أو التصنع فيه .

وهناك أمر آخر جدير بالذكر وهو ما اصطلح على تسميته بعقدة أوديب ، وهذه العقدة مثار متاعب كثيرة مصدرها الطفل ، ويجد الوالدان صعوبة كثيرة في معالجتها . وتروى الأساطير أن أوديب بعد اكتشافه حل اللغز الذى حير أبطال اليونان أصبح ملكاً وتزوج من ملكة ، وهذه كانت ، دون أن يدري ، والدته . ومن هذه الحادثة اشتق فرويد التسمية التى أصبح يترجم بها رغبة الطفل وميله إلى الوالد من الجنس المخالف ، وهذا فى الحياة اللاشعورية ، أما فى الشعور فكل شىء طبيعى عادى .

ومنشأ المشاكل هنا الغيرة ، فالطفل (الولد) مثلاً يشعر بعد ولادته بالراحة والدفء فى حجر وكنف أمه ، ويشعر بالطمأنينة والرضا إذ يجد نفسه معتمداً عليها ، وهذا التواكل يعطيه الشعور بالأمن ، وهذا ما يحتاجه الطفل . ولكن الشعور بالأمن هذا تطراً عليه عوامل تهدده ، أو تهدد الطفل بحرمانه منه ، ومعظم

هذه العوامل تصدر من شخص واحد ، هو الأب الذي يتدخل بين الطفل وأمه مساحاً بحقوقه الشرعية . ويصدم الطفل حينما يجد (منافساً) يظهر على المسرح ليقاسمه انتباه واهتمام الأم ، أو بمعنى آخر يجد الطفل أن ماضنه ملكاً خاصاً له أمسى وقد أصبح قسيم شخص آخر فيه .

ولكن الطفل لا ييأس ولا يتراجع ولا يقف مكتوف اليدين أمام هذا الإعتداء على الملكية ، فيعمد إلى أنواع من السلوك العدائى قبل والده ، غريبه . وهذا الشعور نحو والده لا يستريح له الطفل ، بل يشعر بالحنج لمعاملته الجافة القاسية نحو أبيه ، وقد يؤنبه ضميره . . . وكما توالى السنون زاد تأنيب الضمير واضطرت التقاليد والواجبات أن يحنى هامته احتراماً لو والده وأن يعامله المعاملة التى هو جدير بها . ثم قد يجد الطفل ألا ضير عليه فى أن يقاسم والدته حب الوالد ، ويقال فى هذا الصدد (حب الطفل الذكر لو والده) لأنها البذرة الأولى للجنسية المثلية Homosexuality^(١).

الإستمناء Masturbation

دليل آخر يثبت وجود حياة جنسية عند الطفل ، وهو أمر يشير القلق والخوف عند كثير من الآباء والأمهات ، ويعتبر دليلاً

(١) يقصد بالجنسية المثلية ميل الذكر للذكر ، وميل الأنثى للأنثى ، وهى تختلف فى هذا عن الجنسية الغيرية Heterosexuality وهى ميل الذكر للأنثى والعكس.

حاسماً على سوء خلق فطري في الطمعل سرعان ما ينمو بنموه ،
فيلجأ الآباء في معالجته بطرق تكون هي ، هي وحدها السبب في
الحاق الضرر بالطفل ، أما عملية الاستمناء في حد ذاتها فليست لها
عواقب جسمية أو نفسية خطيرة .

وقد عرفنا جهك النفس المستمر ليحصل على انتباه وحب أمه
له وحده ، وعرفنا ذلك النزاع الوجداني الذي يعترى الطفل بخصوص
والديه ، وهذا يدفعه حتماً إلى أن يثير نفسه ويصحب ذلك بما
يرضيه من التهيئات السرية غير الملفوظة ، فإن قدرته العقلية تقصر
عن تمكنه من التعبير عما يحس به . فيلجأ إلى الاستمناء — اللعب
بالعضو التناسلي — الذي يجمع الكثير على أنه لا يتعدى في خطورته
مص الأصابع .

ويرى ليوكا نر Leo Kanner^(١) أن هناك أربع أنواع للاستمناء :

- ١ — الاستمناء الذاتي Auto ويكون عادة يدوياً .
- ٢ — الاستمناء المتبادل Mutual ويكون بين طفلين أو أكثر
- ٣ — الاستمناء باستعمال أشياء مادية Instrumental كحافة
الكرسي مثلاً .

٤ — الاستمناء العقلي Mental ويكون عن طريق الصور العقلية .

هذه الحقائق لا يجب أن تزغنا ، لأن الطفل لا يقصد منها سوى اللعب ، اللعب البريء ، يجد فيه متعة ولذة ، فيستغرق فيه بكل سداجة وبرامة . ومن الملاحظ أن الأولاد والبنات عند ما يلعبون بأعضائهم التناسلية يعيشون في حالة غريبة ، فإن الجسم يرتخي ويميل الوجه إلى الإحمرار وتلعب عيناه ويفنى تماماً في العملية بحيث لا يمكن تحويله عنها ، حتى يصل إلى الذروة Climax ثم يهدم ويستغرق في نوم عميق . وهذه كلها دلائل واضحة لعملية الاستمناء (١) .

فلاستمناء سلوك عادي طبيعي لا يجب أن يقابل من الكبار بهذه النظرة التي لا تحمل سوى الخوف العميق على أطفالهم ، ويقول فرويد إن الأطفال عند ما يكتشفون أجزاء جسمهم بتحسسهم أياها بأيديهم ، يلاحظون أن أعضائهم التناسلية تعطيهم إحساساً من نوع لذيذ ، الأمر الذي يدفع الطفل دائماً إلى العمل للإحتفاظ بهذه اللذة الممتعة . ويلاح فرويد ويصر على أن هذا نوع عام من خبرة الطفولة ، ويرى أنها أولى مراحل الاستمناء (٢) .

وثمة سبب آخر يدعو الطفل إلى اللعب الجنسي وهو عدم شعوره بالسعادة أو أن يثار الطفل إثارة حادة خبيثة كأن يرى بصراحة متناهية تفضيل طفل آخر عليه . أو يكثر الوالدان إن إيلامه

Oswald Schwarz : The Psychology of Sex. P. 33. (١)

Len Chaloner (Editor) : The Mother's Encyclopaedia, (٢)

p.375-376.

أو عدم العناية به ، فيستغرق الطفل حينئذ في نوع من اللذة كثير الشبه بمص الأصابع . ويجب أن نحترس أيضاً فنقتصد من تدليلنا للطفل واطهارنا الحب له ، فلا نغالى في تقيله ومداعبته .

ومادامت عملية الاستمنااء ظاهرة عادية في حياة الكائن البشرى الذى ينمو نمواً طبيعياً ، فلذا نجد أنه من الضرورى أن نتناو لها بشىء غير قليل من التؤدة والرفق لأنها ترتبط بأعمق بتابع الحياة الوجدانية للطفل . وهذا يعنى أن نبتعد كل البعد عن التوبيخ والتأنيب وعن الضرب أو كل ما يتصل بالبدن ، بل الأوفق أن نجعل الطفل يتدبر المسألة بنفسه .

ولذلك فيجب أن يلم من يقومون بتربية الطفل إماماً صحيحاً باهية عملية الاستمنااء والدوافع الحقيقية إليها حتى يكون علاجهم لها علاجاً ناجحاً شافياً . فهى أولاً نمو عادى طبيعى ، طالما أن الحب الذاتى صفة موجودة عند كل طفل ، فهو يحب نفسه ويرجع كثيراً من الحوادث إلى شخصه . واذلك فإن الطفل الذى أحمل وقات العناية به أو الذى أرب وأفزع أو الذى يشعر بالقصور والدونية ، مثل هذا الطفل يجد أن من الصعوبة عليه أن يلائم بين موقفه والبيئة التى يعيش فيها فيتجه إلى ذاته ، ولديه المواد الغفل ، كحبه لنفسه ، يجد فى الاستمنااء ثغرة يدلف خلالها ليعوض شيئاً من المضايقات التى يحس بها^(١) .

ولذلك فيجب أن يلجأ الوالدان أو المربون عموماً إلى الحكمة والتعقل في سلوكهم إزاء الأطفال ، فلا يجب أن ترسم على وجه الأم علامات الغضب الممزوج بالإنزعاج ، ولا يكسر الوالد عن أنيابه ويود لو استطاع أن يلاطم طفله ، ويرى في عمله هذا دليلاً على سوء خلق أو شر بالفطرة . وقد وصل الحال في إحدى الحالات إلى ربط يدي الطفل ورجليه إلى جانبي السرير حتى لا يحدث احتكاك من أى نوع ^(١) ، وهذا لا شك سيجعل الطفل يميل إلى هذا الممنوع المحرم ويندفع إليه بكليته ، بل إن ذهن الطفل وتفكيره ركز في العضو التناسلي . وقد يؤدي مثل هذا السلوك الخاطيء من الوالدين إلى أن يرى الطفل في عضوه التناسلي شيئاً قدر أو منطقة حرام لا يجوز له أن يتكلم فيها أو يتحدث عنها ، وهذا ولا شك له آثار سيئة في المستقبل .

كما يجب أن توزع الأم عطفها ومحبتها بالعدل والقسطاس بين أطفالها ، وقد نجد بعض الأمهات لا تسبغ على طفلتها نفس كمية الحب والإهتمام الذي يتلقاه الطفل الذكر ، وذلك راجع إلى العوامل الإنفعالية اللاشعورية الصادرة من الأم ، بل إن الأم لا تتلقى لذة عندما ترضع الأنثى تساوى نفس اللذة التي تجدها عندما ترضع الطفل الذكر ^(٢) .

(١) عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية .

(٢) Mary Chadwick. : Difficulties in Child Development.P.383

فرويد والغريزة الجنسية :

يرى فرويد أن الرغبات التي يستشعرها المرء في طفولته المبكرة تعتبر أساساً دائماً لحياته النفسية ، وأن الحياة العقلية اللاشعورية تحتفظ بهذه الرغبات والأمانى ، ولذا فإن أشكال السلوك التي تظهر في مراحل الحياة بعد ذلك تتصل اتصالاً لا شعورياً ، في جوهرها ، بحياة الإنسان في مرحلة الطفولة . وهو لهذا يقرر بأن سلوك الإنسان وخلقته يتحددان إلى حد بعيد في الخمس سنوات الأولى من عمره .

هذه الرغبات والميول سرعان ما تطوياً زوايا النسيان ؛ ذلك لأن المجتمع وتقاليده والبيئة وأحكامها تتطلب من الطفل معايير خاصة من السلوك لا بد له من اتباعها وعدم الحيدة عنها ، فهي تحدد له أنواع السلوك التي ترضى عنها ؛ وهذا ما يسميه فرويد بالنسamy Sublimation ؛ لذا تكبت هذه الرغبات والميول في اللاشعور ، وتدفن فيه حية . وتبدأ تعبر عن نفسها بطرق شتى ، مقنعة ، فيها شيء من التنفيس عن هذه النزعات المكبوتة ، وقد يصل الأمر بها إلى أن تظهر على شكل مظاهر مرضية .

ويؤكد فرويد أن الميول الجنسية للطفل ونشاطها في نفسه يوجدان منذ بواكير الطفولة ، ويصر على أن الرغبات الجنسية ، كما يراها جمهرة الناس ، توجد في نفس الطفل نشطة حية . فالغريزة

الجنسية في نظره تبقى نشطة فعالة من المهد إلى اللحد ، بغض النظر عن الأشكال التي تظهر بها ، أو الأساليب التي تعبر عنها . وتتم الغريزة الجنسية في مراحل مختلفة حتى تصل إلى النضوج ، وهذه المراحل متتابعة متوالية ، تنتقل من مرحلة إلى أخرى ، أما إذا عجزت عن الانتقال من مرحلة إلى التي تليها ، عرض لها نوع من التثبيت . ويلزم أن يمر الانسان بتلك المراحل مرتين في حياته : مرة في السنوات الخمس الأولى ومرة أخرى في السنين التي تتبع المراهقة ويلاحظ أن النمو والنضوج في المرحلة الثانية يتحدد في أكثر أشكاله بطبيعة النمو في المرحلة الأولى .

ونمو الغريزة الجنسية ، حسب رأى فرويد ، يمر في مراتب متتابعة ، ويبحث هذه المراتب من وجهتين :

(١) الوجهة الأولى وهي من حيث الموضوع الذي تلتصق فيه إشباعاً لها ، ويمر الطفل هنا في المراتب الآتية :

١ - مرتبة العشق الذاتي Auto - erotism ، وفيها لا يدرك الطفل بعد ، أنه يكون وحدة مميزة مستقلة ، وهو هنا لا يستطيع أن يشبع ميوله الجنسية عن طريق غيره ولا حتى عن طريق بدنه في مجموعه العام . بل يجد اللذة في بعض أجزاء منه كالفم أو بين الفخذين أو تحت الإبط .

٢ - مرتبة النرجسية Narcissism ، وفيها يحس الطفل بنفسه

كوحدة مستقلة لها كيانها الخاص بها ، فيأخذ ذاته كلها غاية لعشيقه ،
ويستمد لذته الجنسية من بدنه كله ويرى فيه شيئاً جديراً بكل حبه
أكثر من أى شيء آخر خارجي .

٣ - مرتبة عشق الغير Alloerotism وفيها تتجه الميول الجنسية
نحو آخرين وهذه مرتبتان : الأولى يتجه فيها نحو أشخاص من
نفس جنسه Homosexuality ثم الثانية وفيها يتجه نحو أشخاص
من الجنس الآخر Heterosexuality .

(ب) أما الوجهة الثانية فهي من حيث نمو الطفل وعلاقته
بمناطق الجسم التي يشبع فيها الشعور الجنسي ، ويرى فرويد أن
الميول الجنسية أو الحسية للطفل تكون أول الأمر غامضة منتشرة
على جلده كله ، ولو أنها تبكر في التركيز حول بعض المناطق التي
تثبت اللذة :

١ - المنطقة الأولى وهي الفم : فالطفل يشعر بلذة عند ما
يمتص الثدي أو (البزازة) أو حتى أصبعه . وهذه المرحلة تمر
في خطوتين : الأولى انشائية فيميل الطفل إلى ابقاء الشيء في فمه مدة
والثانية تخريبية وفيها يعتمد إلى تجزيئ الشيء وتحطيمه . ويرى فرويد
أن اللذة التي يحصل عليها الكبار من التقبيل أو التدخين أو أية لذة
تتصل بالفم تعود كلها إلى تلك اللذة الأولى التي نذبعث في هذه المرحلة
التي يسميها فرويد بمرتبة العشق الحلقى Oral Erotism .

٢ — تنتقل اللذة بعد ذلك إلى منطقة الإيست ويسمىها العشق الإيستى Unal Erotism وهي على مرحلتين كذلك : الأولى يميل الطفل فيها إلى القذف والإخراج أى بالوجه الهدام ، أما الثانية فالميل إلى الإبقاء والإمساك أى بالوجه الإنشائي . وهذا على عكس مرتبة العشق الحلقى الذى يبدأ بالإنشائي وينتهى بالتخريبي .

٣ — المرتبة الثالثة تتركز الميول الجنسية فيها حول الأعضاء التناسلية وهي على مرحلتين : الأولى المرحلة القضيبية ثم المرحلة التناسلية الصحيحة .

ويرى أنصار فرويد أن الطفل بعد أن يمر فى المرتبتين : الأولى والثانية ، يدخل فى مرحلة تسمى بالدور الكامن Latency Period ويعتبرونها دور كبت للترغبات الجنسية التى تبدو بعض مظاهرها من قبل (١) .

ويجب أن يمر الطفل بهذه المراتب على ذلك الترتيب ، وكل مرتبة توصل إلى التى تليها ، لكن يحدث فى المرتبة الثالثة أن يتعلق الطفل بالكبار من الجنس الآخر وتنشأ تبعاً لذلك عقدة أوديب وعقدة الكترا ، فالطفل يتخذه من أمه موضوعاً لحبه ويغار من أبيه الذى يشاركه هذا الحب ويرى أنه منافس خطير له ، وكم

(١) عبد العزيز القوصى : أسس الصحة النفسية ص ٤٦٢ .

يتمنى الطفل لو أن الجو خلا له وتخلص من هذا المنافس (الأب).
والعكس مع الطفلة التي ترى في أمها منافسة لحبها لو والدها، وكم تتمنى
لو أنها تخلصت منها ليكون لها والدها دون منافس آخر !! ولكن
الطفل لا يستطيع بعد أن يكبر قليلا أن يجاهر بحقيقة شعوره لأن
التقاليد والعرف والراجب تقف حائلا أمام ما تعتمل في نفسه من
إحساسات ، فتسحب تلك الميول إلى اللا شعور .

هذا الميل (حب البنات لأبيها وحب الولد لأمه) يلعب دوراً
على جانب كبير من الأهمية في حياة الطفل المستقبلية ، فهذا الميل
يؤثر في نوع الرفاق الذين يتخذهم الطفل وفي نوع المهنة التي يمتتها
ونوع الزوجة التي يتخيرها .

أسئلة الأطفال :

ويستحسن ، بعد أن ينمو الطفل قليلا ، أن يشبع حبه
للاستطلاع الذي يتبلور على هيئة أسئلة ، لعل أكثرها شيوعاً هو
السؤال الجنسي : من أين يأتي الأطفال ؟ وموقفنا هنا يجب أن
يكون حكيماً ، فإذا نهرناه فسيلجأ إلى شخص آخر يكبره سناً ، غالباً ،
ليجد ويسمع من بين شفثيه تعليلاً وإجابة لهذا السؤال . وهذا
الشخص قد يلقي إليه بإجابة أقل ما توصف به أنها مضللة خاطئة
تحمل الطفل إلى وادي مهدنا نحن السبيل إليه وما كنا نريده أن
يذهب إليه . ومن الخير ، إذا ما سأل الطفل هذا السؤال أن نضرب

له أمثلة بالحيوانات وكيف تتوالد (الكلاب والقطط) و ننتظر حتى ينمو أكثر فنلتق له الحقيقة كاملة بعد أن نتأكد من أن عقله يمكنه هضمها واستيعابها . وقد يعتمد بعض الآباء إلى تلبس إجابة لذلك السؤال لاحتوى سوى أكاذيب ملفقة بعناية ويصدقها الطفل ويستريح إليها ، ويستريح إليها الوالد والأم كذلك ، ولكن ماذا يكون موقفهما عند ما يكتشف الطفل الحقيقة في يوم ما إما عاجلاً أو آجلاً؟ وترى سوزان أيزاكس^(١) أن تجيب الأم طفلها بعبارات مقتضبة سهلة يمكنه فهمها مثل : « إنك خلقت في عش دافئ بداخل جسمي ونمت حتى بلغت من النمو درجة تيسر لك الحياة خارجاً عنى ، وعندئذ ولدت ، . أما إذا سأل الطفل عنى كان يعنى به عندما كانت أمه صغيرة وفي حاجة هي نفسها إلى العناية والرعاية ، فيمكنها حينئذ أن تجيبه بأنه لم يكن قد كوّن بعد ، ولم يكن قد بدأ يتمو داخل أمه .

ويمكن أن ننتهز هذه الفرصة فنساعد الطفل على تربية بعض الحيوانات الأليفة وصغارها كالقطط والكلاب والأرانب والفيران والدجاج . وهنا يكون لدى الطفل فرصة ذهبية للتفريق بين تكاثر الطيور وتكاثر الحيوانات . وقد لاحظ كثير من الآباء والأمهات أن البساطة الصريحة والزمانة الصادقة من جانب الأم في إجابة

(١) سوزان ايزاكس الحضنة (ترجمة سميه فهمي)

الطفل عن أسئلته ، كان لهما فضل كبير على عقليته .
هذا ، ولا شك أن عقل الطفل بعد أن استوعب الدور الذي تلعبه الأم سيجعله يتسامح عن نصيب الأب ، وهل العبء كله يقع على كاهل الأم ؟ فهل نقف من هذا السؤال موقفنا من السؤال السابق ونجيبه بمثل تلك الصراحة البسيطة ؟ أم نتركة يتلصق الإجابة من مصدر آخر يبت في نفسه أفكاراً خبيثة ومعانٍ قبيحة ؟ أم يترك تائهاً في دياجير الظلام لا يجد قبساً من نور ؟ الأوفق أن نجيبه كما أجبناه في دور الأم ، إجابة صريحة بسيطة سهلة صادقة : فنبين له أن الأب يزرع البذرة التي تحميها الأم وتغذيها والتي تنمو بعد ذلك إلى طفل صغير .

ويميل الطفل كثيراً إلى مقارنة نفسه بغيره من الأطفال وخاصة من الجنس المخالف ، ولا بأس مطلقاً من أن يرى الفرق ، إذ أن السكبت سيؤدي حتماً إلى عواقب وخيمة . وهذه حالة لطفل^(١) في الخامسة ، ليس له سوى إخوة ذكور ، ترك لحظة مع طفلة في الثالثة من عمرها في حجرة منفردين ، بابها موصد . وعند ما فتح الباب فجأة وجد أن الطفلة قد ألقيت على الأرض وهي تصيح بشدة في الوقت الذي كان فيه الطفل يلاحظ باطمئنان جسمها .

Hutchison, Alice. : Motives of Conduct in Children. (١)
P.112-113.

وقد أخذ الطفل بسرعة إلى حمام للسباحة حيث يوجد أطفال عديدون (ذكور وإناث) وقد تعرفوا تماماً من ملابسهم . وبذلك أتاحت له الفرصة ليلاحظ الفرق بين الذكر والأنثى .

التربية الجنسية :

تبرز أمامنا مشكلة وهي التربية الجنسية للطفل . وللشككة عناصر ، يكون كل عنصر مشكلة قائمة بذاتها ، فمن المكلف بالتربية الجنسية المنزل أم المدرسة ؟ أم تترك لمحض الصدفة ؟ وإذا فرضنا أن المدرسين كلفوا بالتربية الجنسية فهل تعطى هذه بطرق فردية أم جمعية ؟ وهل يخصص لها برنامج منفرد أم تعطى ضمن بعض المواد الدراسية ؟ ثم متى تبدأ التربية الجنسية ؟ وكيف تدرس ؟ ومدى الصراحة التي يتحدث بها المدرس ؟

ولعل من الخير أن أنقل هنا قرارات المؤتمر السنوى للصحة الاجتماعية بأمريكا والذي قرر فيه النقاط التي اتفق عليها نهائياً في التربية من حيث الصحة الاجتماعية (١) :

١ - المقصود بالتربية الجنسية جميع المسائل التربوية التي تعد الناشئ لمواجهة مشاكل الحياة التي يكون مركزها الغريزة الجنسية ، وتشمل هذه المشاكل جانباً كبيراً من خبرات الشخص أبسطها

(١) التبتت في أسس الصحة النفسية من Gruenberg : Guidance of Childhood and Youth.

المسائل الأولية المتعلقة بالصحة الجنسية الشخصية ، وأعقدها المشكلات الجسمية والاجتماعية والنفسية التي تتعلق من قريب أو بعيد بالسعادة الزوجية وحياة الأسرة عموماً .

٢ - لا يجوز أن تكون هناك دراسات قائمة بذاتها للأمور الجنسية أو مناهج يطلق عليها الدراسات الجنسية .

٣ - تقدم التربية الجنسية ضمن دراسات أو موضوعات أخرى ، ويجب أن يقصد بها تكوين اتجاهات عقلية صحية وعادات طيبة، ولهذا فيتحتم أن تكون في صلب المنهج التعليمي والتربوي العام .

٤ - تدل الدراسات السيكولوجية على ضرورة أن يبنى التوجيه الجنسي للإنسان على أساس الاختيار الذاتي الحر الذي يرتكز على الإدراك والمعرفة . أى يجب أن تكون هنالك ضوابط إرادية للدوافع والرغبات الغريزية التي تستثيرها أنواع المخثرات والمثيرات المحيطة بالإنسان .

٥ - ترى التربية الجنسية أن يعطى الناشئ أسساً للضوابط الإرادية للسلوك مثل : احترام الرأى العام المتعلق بالأمور الجنسية - تذوق الآداب الجنسية وتقديرها - معرفة النتائج القانونية والاجتماعية والطبية - الشعور بالمسؤولية الشخصية والاجتماعية - تقليد بعض الأشخاص المثاليين - احترام الأنوثة والرجولة - تكوين عادات ضبط الذات - دراسة الأدب الذى يصور الحب فى أسى الصور وأرقاها . . . الخ

٦ - خلق اتجاه صحى فى عقل الناشئ بتعليمه المسائل الجنسية بالتدرىج ، وأولا بأول ، فیتعلم كل ما يتعلق بما یخطر على باله من المشكلات الجنسية حتى لا یصل إلى معلومات من مصادر غیر مرغوب فیها .

٧ - تجمع التربية الجنسية بین أوجه من التربية الخلقية والتربية الصحية ، ولهذا فعلى المنزل یقع جل عبء التربية الجنسية قبل مرحلة المراهقة ، ولذا فیجب إعداد الآباء وكل من لهم صلة بالطفل عن طریق النشرات والمحاضرات والمناقشات لיעدوا أنفسهم لتعليم النشء وتوجيههم فیما یختص بالمسائل الجنسية .

وأخيراً ، هذا ما حدث بأمریکا فى الوقت الذى لم تنل هذه المشكلة من أولى الأمر فى مصر عناية كافية . ولعل من المجدى أن تثار هذه المشكلة وأن تعقد المؤتمرات للوصول إلى حلول عملية تطبق (فى المدارس والمنازل) حتى نشئ جیلا خالیا (ما أمكن) من عوامل الانحراف والشذوذ الجنسى .

وقد یكون من المفید لو أجريت تجربة للتعليم المختلط فى المدرسة الابتدائية ، فریاض الأطفال نجد فیها البنین إلى جانب البنات ، وكذا الحال فى الجامعة ، فإذا الأمر لو قللنا فترة انفصال الولد عن البنت أربع سنوات (المرحلة الابتدائية) هل یكون لهذا أثره فى حل بعض المشاكل الجنسية التى نلسها فى مرحلة المراهقة وما بعدها ؟ نحن ننظر مثل هذه التجربة وتطلع فى هفة إلى نتائجها .

المراجع

- ١ . اسحق رمزي : علم النفس الفردي .
- ٢ . سوزان ايزاكس : الحضارة (ترجمة سميه نهدي)
- ٣ . عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية .
4. Chaldwick, M. : Difficulties in Child Development.
5. Chesser, E. & Dawe, Z. : The Practice of Sex Education.
6. Gordon (Editor) : A Survey of Child Psychiatry.
7. Haire, N. : Encyclopaedia of Sexual Knowledge.
8. Hutchison, A. : Motives of Conduct in Children.
9. Landau, R. : Sex Life and Faith.
10. Lon Chaloner (Editor). : The Mother's Encyclopaedia.
11. Oswald Schwarz. : The Psychology of Sex.
12. Russell, B. : On Education.
13. Teagarden. : Child Psychology for Professional Workers.
14. Valentine. : The Psychology of Early Childhood.